

الإمارات الإسلامية المستقلة عن الخلافة العباسية في العصر العباسي الثاني

أولاً: الإمارة الطاهرية (٢٠٥ - ٢٥٩هـ/ ٨٢١ - ٨٧٣م)

وأول حركة استقلالية قامت في المشرق كانت الدولة الطاهرية التي أسسها طاهر بن الحسين في خراسان^(١) على عهد المأمون ، مكافأة له على المعاونة الحربية التي بذلها في سبيل نصرة المأمون على أخيه الأمين . ومن هنا نلاحظ أن الدولة الطاهرية قامت في الواقع برغبة الخلافة العباسية وتأييدها . وقد اتخذ طاهر مدينة نيسابور في خراسان قاعدة له . ثم خلفه في الحكم ولده طلحة ثم ولده الآخر عبد الله بن طاهر الذي ازدهرت خراسان على أيامه .

وبعد وفاة عبد الله خلفه ابنه طاهر ثم حفيده محمد بن طاهر الذي يعتبر آخر من تولى الحكم من أسرة الطاهريين ، إذ خلفه على حكم خراسان يعقوب بن الليث الصنمبار مؤسس الدولة الصفارية سنة ٢٥٩ هـ . وكان الطاهريون من أصل فارسي من موالي قبيلة خزاعة العربية ، وقد تمتعت خراسان في عهدهم بالأمن والرخاء والازدهار . كذلك يؤثر عنهم أنهم أخلصوا للخلافة العباسية وتعاونوا معها في حفظ الثغور الشرقية من غارات الأتراك ، وفي اخماد الثورات الداخلية التي قام بها العلويون والفرس بنواحي طبرستان . على ان هذه الدولة لم تلبث أن عجزت عن صد حركة الصفارين فسقطت على أيديهم سنة ٢٥٩ هـ (٨٧٢م) .

(١) كلمة خراسان مركبة من « خور » شمس ، و « اسان » شروق أي شروق الشمس وهي تذكرنا بعبارة الامام محمد العباسي التي وجهها إلى دعائه حينما وجههم إلى خراسان لبث دعوته هناك بقوله : اني أتفاهل إلى المشرق وإلى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق . وكانت خراسان تشمل البلاد الآسيوية الممتدة بين جيحون شرقا إلى فارس غربا إلى سجستان جنوبا وهي تشمل الآن معظم ايران وافغانستان ومقاطعة تركمانيا السوفياتية .

ثانياً: الإمارة الصفارية (٢٥٤ - ٢٩٠هـ / ٨٦٧ - ٩٠٣م)

ومؤسسها هو يعقوب بن الليث الصفار . وقد لقب بالصفار لأنه بدأ حياته صانعاً للصفير أي النحاس بأجر قدره ١٥ درهماً في الشهر ، ولهذا عرف بهذا اللقب .

ثم التحق يعقوب هو وأخوه عمرو بفرقة المتطوعة التي تكونت لقتال الخوارج في إقليم سجستان في جنوب خراسان ، وكان تابعا لحكم الطاهريين . ولم يلبث يعقوب بكفاءته وقوة شخصيته أن صار زعيماً لهذه الفرقة ، ووالياً على إقليم سجستان . والمناطق المجاورة له فقوي نفوذه واشتد بأسه .

وعلى الرغم من أن يعقوب كان يريد بحركته التوسعية أن يعيد أحياء دولة الفرس القديمة ، إلا أنه حرص على التمسك بطاعة الخليفة العباسي المعتمد ، فكتب إليه بهذا المعنى ، ودعا له على منابره ، وأرسل إليه الهدايا القيمة ، كما هاجم الأراضي الهندية والتركية ليظهر للخليفة أنه يجاهد في سبيل الله ، وأنه يعمل على حماية حدود الدولة وثغورها الجنوبية والشرقية .

غير أن يعقوب لم يستمر طويلاً في هذه السياسة الجهادية الخارجية المثمرة

فيما وراء الحدود الإسلامية ، إذ سرعان ما تحول عنها إلى سياسة التوسع في داخل الأراضي الإسلامية على حساب ممتلكات الدولة الطاهرية في خراسان ، فقضي عليها ودخل نيسابور عاصمتها سنة ٢٥٩ هـ .

ولم يكتفي يعقوب بهذا النجاح الذي أحرزه ، بل واصل زحفه غرباً نحو مركز الخلافة ، واحتل فارس والأهواز وطلب من الخليفة المعتمد أن يصدر له تقليداً خلافاً بحكم هذه البلاد التي فتحها .

واضطرب الخليفة من ازدياد خطورة الصفارين واقتراب جيوشهم من العراق في الوقت الذي كانت فيه ثورة الزنج تسيطر على اقليم البصرة في جنوب العراق . واضطر الخليفة المعتمد أن يستجيب لمطالب يعقوب الصفار خوفا من أن يقع تحالف بينه وبين صاحب الزنج .

ورأى الخليفة في الوقت نفسه أن يضرب هذه القوة الصفارية بقوة اخرى ناشئة في اقليم ما وراء النهر وهي الدولة السامانية . وكانت هذه الدولة منذ أيام المأمون تابعة لولاية خراسان ، فجاء الخليفة المعتمد واعترف بها كدولة مستقلة استقلالا ذاتيا بأقليم ما وراء النهر سنة ٢٦١ هـ فخلق بذلك قوة مهددة للدولة الصفارية من خلفها في أقصى المشرق .

ولا شك أن يعقوب الصفار قد فطن إلى تلك السياسة العدائية التي تسلكها معه الخلافة العباسية ، الا أنه كان قصير النظر قليل السياسة ، اذ أعلن انه سيتقدم بجيشه نحو العراق لاختضاع الخلافة تحت سيطرته . وهنا لم يجد الخليفة المعتمد بدا من الخروج بنفسه لقتاله وصحب معه أخاه احمد الموفق كقائد للجيش .

وحيثما التقى الطرفان ووقع بصر جنود الصفار على الخليفة المعتمد ، تخلوا عن صاحبهم وانضموا اليه ، فحلت الهزيمة بيعقوب الصفار وفر هاربا إلى سجستان في قليل من أتباعه .

وتوفي يعقوب بعد ذلك بقليل سنة ٢٦٥ هـ (٨٧٨ م) وخلفه أخوه عمرو

ابن الليث الذي عمل على تدعيم ملكه في الداخل عن طريق شراء المماليك الصغار من الترك ، فجعل منهم فرقة لحرسه وعكف على اهداء الكثيرين من تلك الفرقة لقادته دون أن يقطع رواتبهم من خزائنه ليطالعوه سرا بالأخبار التي لا يستطيع الوصول اليها علنا .

كذلك واصل عمرو بن الليث سياسة أخيه يعقوب التوسعية ، فطالب الخلافة بولاية اقليم ما وراء النهر الذي في أيدي السامانيين . وهنا حانت الفرصة التي كانت الخلافة في انتظارها كي تضرب الصفاريين بالسامانيين ، فأجابه الخليفة إلى طلبه وقام قتال عنيف بين الفريقين انتهى بهزيمة عمرو بن الليث وأسر وسجنه وسقوط دولته على يد اسماعيل بن أحمد الساماني سنة ٢٩٠ هـ (٩٠٣ م) .

